

برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة التاسعة والعشرون

النبي إيليا

مستمعي العزيز ، مازلنا نتأمل بأحداث وشخصيات العهد القديم من الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والتي تشير أيضا إلى المخلص المسيح . وكنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي عن سيرة النبي أيوب ، والمحن العديدة التي واجهها . وأنه بالرغم من كل هذه التجارب المرة لم يشك أيوب بأمانة الله . وتساءل أيوب كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ وهل هناك من مصلح؟ أجاب الله على تساؤلات أيوب بأن أعلن له ، أنه توجد فدية تأخذ مكان الإنسان ، وأنه يوجد مصلح يصلحه مع الله . وقد علمنا أن هذا المصلح هو المخلص المسيح ، الذي قدم نفسه فدية لخلاص الإنسان .

وفي لقاء اليوم سيدور حديثنا حول سيرة النبي إيليا . هذا النبي الذي له مكانة كبرى في العهد القديم من الكتاب المقدس . وكان رمزا وإشارة إلى شخصية مهّدت لمجيء المخلص المسيح.

إيليا إسم عبري معناه " إلهي يهوه " . والصيغة اليونانية لهذا الإسم هي الياس ، والمستعملة في اللغة العربية . ولد إيليا في بلدة تشبة في فلسطين ، وعاش في منطقة جلعاد . كان إيليا يلبس عادة ثوبا من الشعر (مسوحا) ، ومنطقة من الجلد . ويقضي معظم أوقاته في البرية . عاصر الملك آخاب وامرأته إيزابل ، التي قادت الشعب إلى عبادة الإله الوثني البعل .

وفي تلك الأيام قال إيليا لآخاب الملك : "حي هو الرب الذي وقفت أمامه أنه لا يكون ظل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي . " (ملوك الأول ١٧:١) وأمر الرب إيليا بالإختباء عند نهر كريت ، وأمر الغربان فكانت تأتي له بالطعام . وعندما نشف النهر توجه إيليا إلى صرفة صيدون حسب أمر الله له . وبقي في بيت امرأة أرملة ، لم يفرغ من بيتها الدقيق والزيت طوال مدة الجفاف ، بناء لوعده إيليا . ولما مات ابنها صلّى إيليا ، فأعاد الله الحياة للصبى .

وقصة النبي إيليا مع أنبياء البعل - أي الإله الوثني - مشهورة جدا . إذ طلب إيليا من آخاب الملك أن يجمع الشعب إلى جبل الكرمل ، وأن يحضر معه أنبياء البعل . وعندما اجتمعوا قال إيليا للشعب : "حتى متى تعرجون بين الفرقتين ، إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه . فلم يجبه الشعب بكلمة." (ملوك الأول ١٨:٢١) ثم طلب إيليا أن يقدم أنبياء البعل ذبيحة ، ويقدم هو ذبيحة أخرى . ويدعون بإسم آلهتهم بينما يدعو هو باسم الرب . والإله الذي يجيب بنار فهو الله . فقدّم أولا أنبياء البعل ذبيحتهم وصلّوا ، لكن لم يكن هناك مجيب لصلواتهم ، بالرغم من أنهم نادوا من الصباح إلى الظهر .

ثم بنى إيليا مذبحاً بإسم الرب ووضع عليه الذبيحة ، وصب ماء كثيراً على الحطب . وصلى طالبا من الله أن يستجيب له . فللحال سقطت نار الرب وأكلت المحرقة ولحست المياه . وعندها صرخ الشعب ، الرب هو الله . وأمسك إيليا أنبياء البعل ، وأمر بذبحهم جميعاً . وأبلغ إيليا بعدها آخاب أن المطر سينزل . وكان أن سقط مطر غزير بعد توقف دام ثلاث سنوات وستة أشهر . (راجع ملوك الأول، الأصحاح الثامن عشر)

لكن إيزابل امرأة آخاب عندما سمعت ما فعله إيليا بأنبياء البعل ، توعدته بالقتل . فهرب إيليا مرة أخرى وطلب يائسا من الله أن يأخذ حياته . فشجعه الرب موضحاً له أن هناك سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل . ثم أرسله الله ليمسح أليشع نبيا خلفاً له . (ملوك الأول، الأصحاح التاسع عشر) وعندما دبّرت إيزابل قتل نابوت اليزرعيلي ، ليرث زوجها الملك آخاب كرمه ، دخل إيليا إلى الملك وتتبأ بموته الشنيع مع امرأته إيزابل ، وأنبأ كذلك بمحو بيت آخاب . (ملوك الأول الأصحاح، الواحد والعشرون)

أما نهاية النبي إيليا فقد كانت مثيرة للغاية ، إذ لم يعرف الموت لكنه اختطف حياً إلى السماء . فبينما كان يسير مع خليفته النبي أليشع ، إذا بمركبة من نار وخيل فصلت بينهما ، وصعد إيليا في العاصفة إلى السماء . (ملوك الثاني، الأصحاح الثاني)

نلاحظ عدة صفات ميّزت النبي إيليا وطبعت حياته ، وهي عيشه معظم حياته في البرية ، وكيفية لباسه ونوع طعامه . ثم شجاعته ومجابهته وتحديه للملك آخاب ، وتوبيخه له للشر الذي كان يفعله . ونلاحظ أن النبي ملاحى من أنبياء العهد القديم ، تتبأ بإرسال الله للنبي إيليا، ليمهد الطريق أمام مجيء المخلص المسيح . لكن السؤال هو : هل حقا أتى إيليا مرة ثانية قبل مجيء المسيح ؟ ومن كان هو ؟

هل حقا أتى إيليا مرة ثانية قبل مجيء المخلص المسيح ؟ طرح التلاميذ أو الحواريون هذا السؤال على المسيح قائلين : " لماذا يقول الكتبة - أي ناسخي التوراة - أن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً ويرد كل شيء ؟ فأجابهم المسيح قائلاً : " أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا .. حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان . " (بشارة متى ١٧: ١٠-١٣) وفي مناسبة أخرى قال المسيح عن يوحنا المعمدان: " فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك . الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان... وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي." (بشارة متى ١١: ١٠ و١٤، ١١)

إذن كما تتبأ النبي ملاحى ، إن إيليا قد أتى في شخص يوحنا المعمدان ، الذي مهّد الطريق أمام المخلص المسيح . ولهذا أخبر الملاك الكاهن زكريا والد يوحنا المعمدان قبل ولادته ، عندما ظهر له قائلاً : " لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك

أليصابات ستلد ابنا لك وتسمينه يوحنا.. ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيء للرب شعبا مستعدا. (بشارة لوقا ١: ١٣، ١٧)

بدأ يوحنا المعمدان خدمته في البرية قرب نهر الأردن . وكان لباسه كإيليا من وبر الإبل ، وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا برياً . وكان يكرز قائلاً : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . ونادى يوحنا بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ، فاعتمد منه الكثيرون . وكان يعلن للجموع المحتشدة من حوله قائلاً : " أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني.. هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار . " (بشارة متى ٣: ١١)

كان يوحنا المعمدان إذن هو الشخص الذي مهّد الطريق أمام المخلص المسيح ، وذلك عن طريق دعوة الناس لمعمودية التوبة . تماما كما يرسل الملوك والرؤساء موفدا يذهب أمامهم ، يُمهّد لزيارتهم . وبلغت خدمة يوحنا المعمدان ذروتها ، عندما رأى المخلص المسيح مقبلا إليه فقال : " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم . هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي . " (بشارة يوحنا ١: ٢٩ و٣٠) لنلاحظ مستمعي أن يوحنا المعمدان أشار إلى المسيح بأنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم . أي الخروف الذي سيذبح من أجل معصية الجنس البشري . حقا يا لها من شهادة جلية عن المسيح الذي سيفدي البشر جميعا .

هناك صفة أخرى مشتركة بين النبي إيليا ويوحنا المعمدان . فكما واجه إيليا الملك آخاب وتحداه ، هكذا تحدّى يوحنا المعمدان الملك هيرودس ، ووبّخه على شره إذ قال له : لايجل لك أن تأخذ هيروديا امرأة أخيك . فحقد هيرودس على يوحنا وأراد قتله ، فقبض عليه ووضع في السجن . وبعد أن أقسم لابنة هيروديا التي أعجب برقصها بأن يعطيها مهما طلبت ، طلبت منه عندئذ أن يعطيها على طبق رأس يوحنا المعمدان . فاغتم الملك وأخرج موقفه ، لأن يوحنا المعمدان كان بالنسبة للشعب نبيا ، فأرسل وقطع رأس يوحنا. حقا لقد كانت نهاية يوحنا المعمدان محزنة ومؤلمة على خلاف نهاية النبي إيليا ، الذي ارتفع حيا إلى السماء . (راجع بشارة متى الأصحاح الرابع عشر، الأعداد ٣-١٢)

مستمعي العزيز ، أجل لقد أتى يوحنا المعمدان بروح النبي إيليا ، ومهّد الطريق أمام المخلص المسيح . وهكذا أعلن خلاص الله للبشر جميعا ، من خلال المسيح وموته الكفاري على الصليب ، وقيامته المجيدة . فهل ترغب صديقي أن تحصل على خلاص الله وغفرانه المجاني؟ تعال إذن بتوبة صادقة ، وإيمان قلبي بالمخلص المسيح . فتحصل على هبات الله العظمى ، وتصبح من أولاد الله ، وتحيا إلى الأبد .